

المرأة وطقوس الولادة والختان بمنطقة القصبات-أولاد عمر بن مهدي- أنموذجا

Women, birth rituals, and circumcision in the gosbat region - Ouled Omar
Ben Mahdi - as a model

عبد السلام جدراوي*،  جامعة باتنة 1، abdessalam.djedraoui@univ_batna.dz

سهام وناسي،  جامعة باتنة 1، sihem.ouanassi@univ-batna.dz

تاريخ الإرسال: 2025/06/30

تاريخ القبول: 2025/05/04

تاريخ الإرسال: 2025/04/09

ملخص:

تكمن دراسة التراث طقوسا وعادات وأدبا في توطيد العلاقة بين ماضي الشعوب ومستقبلها ولذلك حظي باهتمام متزايد من قبل النخبة المثقفة ومؤسسات البحث فضلا عن عامة الناس الذين يحافظون عن تراثهم بوعي أولا وعي، ففي هذا السياق العام تندرج دراستنا لمناسبات الولادة والختان ضمن المناسبات الاجتماعية التي تحظى بأهمية كبيرة في المجتمعات التقليدية خصوصا في منطقة القصبات أولاد عمر بن مهدي، فهناك جملة من الممارسات والطقوس التي تصاحب هذه المناسبتين والتي تمثل نسق ثقافي مكون للبناء الاجتماعي، من خلال إبراز مختلف الممارسات المتعلقة بالمرأة والطفل من فترة الحمل الى وضع المخاض (المولود) وصولا الى طريقة العناية بالمولود الجسدية والروحية بالاعتماد على موجودات مادية بقوى غيبية، وصولا الى ختان الطفل والطقوس المصاحبة في ذلك، حيث توصلنا الى أن استخدام هذه الممارسات والطقوس هي للدلالة على مجموعة من الأنماط السلوكية لها علاقة بزمان ومكان محدد داخل الأسرة والمجتمع، والتي تعبر عن هوية وثقافة الفرد الأوراسي.

الكلمات المفتاحية: الطقوس، الولادة، الختان، المرأة، الممارسات.

* المؤلف المرسل  <https://orcid.org/0009-0000-8920-9588?lang=ar>

المؤلف الثاني  <https://orcid.org/0009-0007-1521-3497>

Abstract:

Studying heritage—through rituals, customs, and oral traditions—helps strengthen the connection between a people's past and their future. This explains the increasing interest from intellectuals, research institutions, and the general public, who preserve their heritage consciously or unconsciously. Within this context, our study focuses on the social events of birth and circumcision in the traditional society of Qasabat Oulad Amar Ben Mahdi. These occasions are marked by specific rituals and practices that shape the cultural and social structure. We explore customs related to women and children, from pregnancy to childbirth, and how newborns are cared for physically and spiritually, using both tangible items and unseen forces. Circumcision and its rituals also reveal behavioral patterns tied to specific times and social settings. These practices reflect the identity and cultural values of the Aurès individual.

Keywords: ritual, birth, circumcision, women, practices.

مقدمة:

عديدة ومتنوعة هي المناسبات الاجتماعية المتعلقة بالأسرة في المجتمع الجزائري بصفة عامة ومنطقة القصباء أولاد عمر بن مهدي بصفة خاصة وتختلف طريقة التعبير عنها من منطقة الى أخرى، حيث أن الولادة والختان هما مناسبتان متعلقتان بالمرأة والطفل وتكون مشبعة بجملة من الطقوس عبارة عن نسق ثقافي مكون للبناء الاجتماعي، ونظرا للمكانة الهامة للأطفال في الأسرة تحاول المرأة بصورة أو بأخرى الاهتمام بالجانب الصحي لهم من ممارسات وطقوس متوارثة تعبر عن الثقافة الشعبية لسكان المنطقة. وتشتد الحاجة الى التمسك بالممارسات التي هي اراث شعبي خاصة في أزمنة التحول الكبرى حيث تتعاظم المخاطر وتشتد التقلبات، اذ يجد الناس في عودتهم الى آداب الأسلاف وعاداتهم وتقاليدهم رسوا على أرض صلبة وشعورا بالإنماء والتجذر في المكان والزمان بالقوة والأمان، وللعالجة هذا الموضوع ينطلق البحث من الإشكالية التالية: ماهية الممارسات التي تقوم بها المرأة للعناية بنفسها والطفل في مناسباتي الولادة والختان والطقوس المصاحبة في ذلك؟ انطلاق من الفرضيات المعتمدة:

- الممارسات المعتمدة في العناية بالمرأة والمولود بالمنطقة
- الممارسات الطقوسية التي توظفها المرأة في مناسباتي الختان والولادة
- طريقة توظيف الطقوس المتعلقة بكلتا المناسبتين.

ويهدف البحث الى ابراز جملة من الممارسات المتعلقة بالعناية بالمرأة والطفل سواء في فترة الحمل ووضع المخاض والاعتناء بالمولود بعد الولادة أو في مناسبة الختان من خلال جملة من الممارسات و الطقوس المتعلقة به، كما نسعى الى فك مجازاته بالاعتماد على المنهج الاثنوجرافي

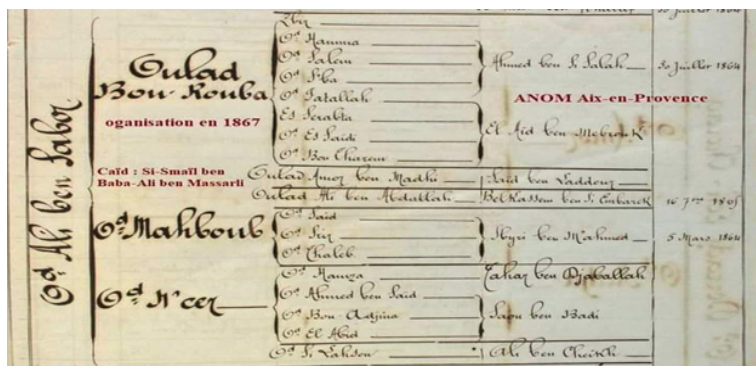
بوصف هاته الممارسات والطقوس والاعتماد على المقابلات الميدانية باختيار عينة غير احتمالية لنسوة من المنطقة ومنهن من كانت قابلة حتى في الفترة الاستعمارية والمهمة في عملية البحث التي تعبر على أنماط سلوكية وفق زمان ومكان معين يستمر احترامها لدى الجماعة .

1.التعريف بقبيلة أولاد عمر بن مهدي

تنسب قبيلة أولاد عمر بن مهدي إلى عرش علي بن صابور وتقع هذه القبيلة بالتحديد بمنطقة القصبات وتشتهر بالمياه وجبال وعرة المسالك، ويقع عرش علي بن صابور في الأوراس الغربي بالتحديد في منطقة بلزمة يحدها من الشمال الشرقي قبيلة أولاد سلام ومن الشمال الغربي جبال

بوطالب التابعة لولاية سطيف أما الجنوب الشرقي قبيلة أولاد سلطان ومن الجنوب أولاد سحنون وبريكة.

الشكل: 01



تقسيم العرش في الفترة الاستعمارية 1867 من قبل عسكر الأنديجان

المصدر: (FR ANOM GGA 11L/8)

وتتفرع الى خمسة بطون حسب ما تم استنطاقه من الوثيقة الفرنسية التي جئنا بها من الأرشيف الفرنسي على النحو التالي :

- ✓ قبيلة أولاد محبوب وينقسم الى: أولاد سعيد أولاد صغير
- ✓ قبيلة أولاد نصر وينقسم الى : أولاد حمزة أولاد أحمد بن السعيد، أولاد بوعجينة ، أولاد العابد
- ✓ قبيلة أولاد بوروبة وينقسم الى : أولاد حمنة، أولاد سالم، أولاد فتح الله ، أولاد السرابطة، أولاد السعيد، أولاد الزوبر، أولاد بوطارن.
- ✓ قبيلة أولاد عمر بن مهدي : أولاد رقاد، أولاد ميمون ، أولاد بوشامة ، أولاد الدويدة ، أولاد مقورة، أولاد باشا.
- ✓ قبيلة أولاد علي بن عبد الله

تم تقسيم هذا العرش في الفترة الاستعمارية 1867 من طرف عسكر الأنديجان والمسؤول عنه بالتحديد : CAID : SI_SMAIL BEN BABA ALI BEN MASSARLI من خلال الوثيقة السابقة.

2. المرأة وطقوس الولادة بالمنطقة

أشار الكاتبان الفرنسيان A.Certeux و E.Henry carnouy في كتابهما *L' algérie tradutionelle* أنه في مناسبة الولادة بمجرد أن تلد المرأة يزورها الأقارب وصديقاتها كثيرا ويشجعونها ويواسونها ويخدمونها بشكل ملحوظ كما أنها تستدعي مجموعة م المرابطين ليطلبوا لها الخلاص من المخاض ، فإذا كان هذا غير كاف يقومون بوضع حبات من البيض في زوايا البيت حيث يتم وضعها من قبل الأطفال وخرج الأطفال يرددون أهازيج خاصة ثم عند عوتهم تفرغ النساء دلو من الماء فوق حبات البيت فإن انكسرت في اعتقادهم وخروج المح فإن المرأة ستنتهي وتتخلص من المخاض بوضع مولودها، فإذا كان صبيا تولول النساء مرتين فإن كانت فتاة فإنهن يولولن مرة واحدة ، فإذا كانت المرأة لها أبوين غنيين يرسلون لها لحم الطان ويصنعون لها السفنج وأنواع من المشروبات كالزنجبيل وغيرها وبعد مرور أسبوع يقوم بوجبة إفطار كوليمة للأقارب. كل ما تحدث عليه الكاتبان يتشابه لدى جميع سكان الجزائر تحت مسمى واحد مناسبة الولادة لكن تختلف الطقوس المصاحبة لها من منطقة إلى أخرى (Carnoy, 1893).

1.2 الاعتناء بالمرأة أثناء فترة الحمل

تقوم المرأة في هذه الفترة بالعناية بنفسها وبمولودها وفي فترة الوحم يوفر لها زوجها كل ما تشتهيه، وهناك بعض العادات المتواجدة بالمنطقة وهي شراء قطع من الذهب للمرأة الحامل من قبل الزوج والمسمات "ثيوزاين" اذا حملت مولودها الأول وقد يكون هذا دعما معنويا لها باعتبارها تحبل لأول مرة وتهية نفسية لما هو قادم من آلام وأوجاع، أو لأن المرأة في فترة الحمل تتغير هورموناتها فتتأثر نفسيا، إضافة إلى هذا تقول المبحوثات بأنهن كنا يقمن بمختلف أعمال البيت من تنظيف للمنزل وباحاته وطبخ وغير ذلك في هذه الفترة تتناول المرأة الحامل الأطعمة ذات الفائدة الطبيعية الغنية بالدهن والبروتينات كالحم الضأن، ولحوم الأرانب، وزبدة الماعز (الدهان)، وحليب الماعز الغني بالكالسيوم كل هذا يساعد في نمو الجنين كذلك إضافة إلى مختلف المشروبات الصحية كالحوامض والعسل حتى ان المبحوثة أشارت إلى أن المرأة تأكل مادة من الطين " الصلصال " أو الفحم " ثيرجين " لمواجهة أعراض الحمل من الوحم والألم.

تذهب النساء الحوامل لزيارة الأضرحة والاماكن التي لها قداسة من أجل التبرك وتدعو ببركة الولي لكي تسهل الولادة مع تمنها من يقوم الولي الصالح بتخفيف آلامها باعتبارها الأقرب إلى الله عز وجل وهو في اعتقادهم حل لمشكلاتهم ، ويقمن بإشعال الشموع والبخور والباقي من البخور تأتي به إلى لتبخير البيت وتطهيره لأن في اعتقادهم أن الجن لا تحب رائحة البخور "الجاوي" أو القطران أو لطر العين "التابعة" التي قد تتسبب لها بالإجهاض قولهن " أعينوش يصعب".

يجب على المرأة الحامل أن تتفادى الخروج ليلاً أو الذهاب إلى الجنائز أو الأعراس لأن دوي البارود يؤثر على الجنين وقد يتسبب في اسقاطه كما أنها قد تلتقي بامرأة حامل ويحدث ما يسمى "أشاهر" وهي أنها في اعتقادهم قد تحمل نفس الأعراض الموجودة عند المرأة التي التقت من آلام وغير ذلك مما يؤثر على الجنين، يسمح الفلاحون القريبون لها م زيارتها والدخول لحقولهم ورمي الماء كعادة متوارثة لأنها رمز للخصوبة والنماء.

2.2 التكهن بنوع الجنين

ومن المعلوم أن قريبات الحامل من القابات يتكهن بالمولود إن كان ذكراً أم أنثى ولعد م وجود أجهزة الكشف الطبية فهن يعتمدن على خبرتهن ومن بين طرق الكشف على الجنين ذكراً أم أنثى إن كان ذكراً فإنه يركل أمه بقوة في أواخر الشهر الخامس أما الأنثى فإنها تركل أمها في الشهر الخامس لضعفها كما أن الخط الذي يكون في بطن الأم تحت السرة إذا كان موجود بوضوح فإن الجنين ذكر وإن كان خفيف أغبر موجود فإنها أنثى ، وكذلك هناك مثل شعبي يردده النسوة " إذا زبانت طفل إذاشيانة طفلة" كما أن الأطعمة تحدد نوع الجنين إن كانت الأم تشتهي الأطعمة الحارة والحوامض فإن الجنين ذكر وإن كانت تشتهي الطعام الحلو والمأكولات الحلوة فإنها أنثى ، كل هذه الممارسات تعبر الثقافة الشعبية لدى المرأة بالمنطقة.

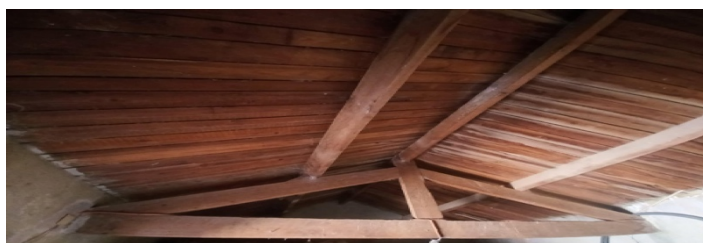
3.2 المرأة أثناء المخاض (وضع المولود)

أثناء فترة المخاض تستدعى القابات إليها من أجل توليدها فهن عن لذلك في أي وقت من أوقات وضع المخاض إن كان في وقت متأخر من الليل أو نحو ذلك ومعرفة حضور وقت الولادة متعلقة بالآلام المصاحبة لها فتقوم القابات بتحضير الماء الساخن الذي له قداسة في الميخايل الشعبي الأمازيغي بحيث أن بخاره يساعد في انتفاخ الرحم لتسهيل الولادة ، تأمر القابات المرأة بوضع مرفقها على الأرض مع رفع الرأس وهذه الوضعية من وضعيات التوليد تسهل من عملية طرد الجنين إلى الخارج وتقدم للمرأة زبدة الماعز "الدهان" التي تسهل كذلك في عملية الولادة وتختلف طريقة التوليد حسب وضعية الجنين لذلك في بعض الأحيان تهز القابلة المرأة الحامل وذلك يساعد أيضاً في عملية طرد الجنين.

أيضا هناك وسيلة تستعين بها المرأة الحامل وهي الإمساك بحبل "غان" الذي تقوم القابلة بربطه في محمل السقف المسمى "أفنتاز" والشّد فيه بقوة أثناء عملية طرد الجنين بصفة طبيعية ومع خروج الجنين تقوم "القابلة" بوضع الزيت مباشرة على الجنين وتغطيه رأسه كي لا يتعرض للمرض ثم تقوم بقص السرة بقدر ثلاث (03) أصابع وتقوم بربطها بخيط من الصوف المسمى " البرسم" وتضع عليها مسحوق من الحشائش مثل "زنبابا" "الجرمل" ، وتوضع فوقها قطعة من النقود لكي لا تخرج السرة ولتنبيتها ثم يلف عليه بالقماش ، وتترك حتى تسقط وحدها وإذا سقطت تقوم الأم برميها فوق المسجد

أفوق المدرسة اعتقاداً منهم أن الطفل سيتعلق قلبه بالدراسة أو بحفظ القرآن ، وبعد خروج الجنين مباشرة تحاول "القابلة " استخراج المشيمة المسماة بالهجة الشاوية "ثينفرا" وتستعمل طرق للاستخراج كالأخذ بالرجلين على الأمام والخلف وهذه الحركة تساعد في انقباض عضلات الرحم مما يساعد في طرد المشيمة أو وضع أصبعها في حلق المرأة الحامل كمحاولة للقيء وهذه العملية تساعد على انقباض المعدة والرحم بشكل طبيعي مما يتسبب في عزل المشيمة عن الرحم ، وان حدث نزيف في الرحم يعطى للمرأة منقوعاً من قشور الرمان وهذه الصورة توضح مكان ربط الحبل للاستعانة به أثناء الولادة.

الشكل:02



الهاتف : تصوير الباحث: يوم 2024/11/20

وقد أشار الطبيب الفرنسي "دوروثي شولبي" Dorothée Chellier في بحثه بعنوان "سفر إلى الأوراس" حيث قا أنه في منطقة منعة لا يتم أي تدخل يدوي إذا لم تخرج المشيمة فالعملية المستخدمة في انقباض الرحم لطرد المشيمة هو إعطاؤها جرعة من الفلفل الحار على شكل جرعة يهدف استخدامها كخدعة للعطس لشد عضلات البطن وخفض الحاجز وتهييج عضلات الرحم وانقباضها وانفصال المشيمة وخروجها ، وفي بعض الأحيان يضعون حبلاً من الصوف في حلقها وذلك يساعد على القيئ وتحدث الآلية المذكورة ويشير أيضاً أنه نادراً ما تخرج المشيمة في شكل قطع وفي هذه الحالة يمكنها أن تتعافى وفي حالة بقاء المشيمة في الرحم تأتي الرائحة من البطن في وقت قليل بعد الولادة إنه الالتهاب النفاسي وتموت المرأة. (chlellier, 1895, p. 18)

بعد طرد الزوائد الجنينية تحت القابلة المرأة على عدم الاغتسال وذلك يعرض الرحم لنزوة البرد التي تسبب لها مشاكل في الرحم وعدم الإنجاب مرة أخرى وترتبط المرأة بقماش العمامة "الشاش" وتستريح الأم لأسبوع حتى تستعيد عافيتها ويقدم لها طبق خاص يساعد على درّ الحليب واستعادة عافيتها والمتمثل في طبق "أزير" الذي يصنع من "الروينة " و"الغرس" معجون التمر" ويوضع فيه زيت الزيتون أو "الدّهان" زبدة الماعز" ويضاف اليه البيض ويضاف إليه ما يسمى "ثاكيليت" المصنوعة من حليب الماعز وكذا جذور من النبات الطبيعي المسعى "أورمي" لأنه ينتج الحليب بقوة ويقدم لها

مباشرة وفي العشاء يقد لها طبق البركوكس الحار بالفرماس والبقول واللحم " الخليج" المخبأ ويذبح لنفساء ديك رومي وتقديم اللحم الطازج لها هكذا كان دور قريباتها في الاعتناء بها.

كما تعرف مناطق أخرى من الوطن التي تصنع للمرأة الحامل طعام الخاص بالمرأة النفساء بالضبط في منطقة الصحراء منطقة ورقلة بمنطقة القصر حيث يبدأ الجيران من النساء بصنع أطعمة خاصة من بينها الكسكسي، مرق تحلاوة، تكنيفت تزدادا، طعام السراير. (الهي، 2012)

4.2 طرق العناية بالمولود والطقوس المصاحبة له

لكل منطقة خصائص وطرق للعناية بالطفل حديث الولادة حيث أن المرأة تعتني بابنها فمن خلال كلام المبحوثات استطعنا استنباط جملة من المعلومات حول مختلف الطقوس والممارسات المتعلقة بالطفل سواء عن طريق العناية الجسدية للطفل والمتمثلة في العلاج التقليدي كاستخدام حليب الأم في معالجة انسداد الأنف لدى الطفل واستعمال الإثمد (الكحل) في علاج احمرار العين والتشققات الجلدية (ثيفيري)، وزيت الزيتون لحماية الطفل من نزلات البرد بسبب التعرق، والعناية الروحية، حمايته من الجن والمس والعين من خلال استعمال موجودات مادية بقوى غيبية كالتمايم (ثيريت)، اليد (الخامسة، تعياشت)، جذر الفيجل (أورمي)، مما ارتئينا إلى التفصيل فيها لأهميتها بدءا ب :

1.4.2 العناية الجسدية

هناك عدة ممارسات تقوم بها المرأة لمعالجة الطفل حديث الولادة منها:

✓ استخدام الإثمد (الكحل)

عند الولادة مباشرة وبعد دهن جسم الطفل بزيت الزيتون تقوم الأم بوضع اكحل في عيني الطفل لأنه غالبا ما تكون عين الطفل منتفخة أو مصحوبة باحمرار وبالتالي تقوم الأم بوضع الكحل الطبيعي الذي تم تحضيره مسبقا لأن الكحل يقتل المكروبات العالقة في عيني الطفل والتي قد تلوثها لأنه طبيعي اضافة أنه يزيد في جمال الطفل.

✓ التدليك بزيت الزيتون (أمساذ)

في الثقافة الشعبية الجزائرية تدليك الطفل بالزيت لا بد منه في منطقة الدراسة تقول المخبرة بأنه بعد الولادة مباشرة تقوم القابلة بتدليك الطفل بالزيت في جميع أنحاء جسمه لأن زيت الزيتون طبيعية وتمنع دخول الهواء إلى الجسم وتدليكه أيضا يساعد في استرخاء الطفل ليستطيع النوم وبعد لفة بالقماش تحمله القابلة من رجليه على شكل وضعية الخفاش لأن ذلك يساعد الطفل على التجشؤ والزيادة في الطول.

✓ استخدام حليب الأم

يعتبر استخدام حليب الأم في العناية الجسدية للطفل شائعاً بمنطقة الدراسة حيث يستعمل في علاج الأنف في حالة انسدادها نتيجة نزوة برد، وكذا يستعمل في علاج الحساسية الجلدية التي قد يتعرض لها الطفل أو التشنجات الجلدية "ثيفيري" وبالتالي تصبح ناعمة.

✓ علاج تأخر الكلام

مما لاشك فيه أن المرأة من أولوية الأولويات أن ترى ابنها سليماً معافاً في بدنه لا يعتره أي مرض لذلك تحاول جاهدة في علاج ابنها خصوصاً تأخره في الكلام ومن بين هذه العلاجات:

● استعمال طحين المطحنة (النباغث)

تستعمل المرأة طحين المطحنة (أكرواط) في علاج تأخر الكلام لدى الطفل البالغ من العمر عامين هذا العلاج له أثر اعتقاد نتيجة للممارسة واعتقاداً منهم سيصبح ثرثاراً في الكلام بمجرد تناوله طحين المطحنة.

● استعمال ماء الصيصان

من بين الطرق التي تستعملها المرأة بالمنطقة من أجل علاج ابنها من التأخر في الكلام هو ماء الصيصان اعتقاداً منها أن ابنها سيصبح قادراً على الكلام مثل الصوص وهذا الاعتقاد سائد في المنطقة ولازوالاً يقومون به إلى اليوم. والمعروف عليه في الأسر الجزائرية أنهم يستعملون ألسن الماعز أو الشاة ليلة العيد ليقلوها ويعطوها للطفل اعتقاداً منهم أن ذلك يساعدهم في عملية النطق كون الخروف أو الماعز كثير المأمة. (نوار، 2017)

2.4.2 العناية الجسدية (موجودات مادية بقوى غيبية)

بالإضافة إلى العناية الجسدية هناك طرق أخرى تستعملها المرأة في منطقة الدراسة للحفاظ على ابنها من العين الشريرة والمس الجني تستعين الأم بموجودات مادية بقوى غيبية من بينها:

✓ جذر نبات الفيجل (أورمي)

يستعمل جذر من نبات أورمي لحماية الطفل من الجن والعين في اعتقادها بحث شرحت لنا إحدى الإخباريات طريقة استعماله حيث قالت " أن أم الصبي أثناء لف القماش على ابنها بعد وضع الزيت في جميع جسده تقوم بوضع جذر من نبات "أورمي" المسى بالعربية "الفيجل" فوق صدر الصبي مع لف الحزام المستعمل في ربط الطفل عليه، قالت أنه "يسّي" أي يحفظ الطفل ويبعد الجن والعين عليه "، أو يستعمل في حرقه مع البخور وتبخير الطفل والبيت به.

✓ النفول (ورق مكتوب بالقرآن)

تأمر المرأة زوجها بالذهاب إلى الإمام (الطالب) ليعد لها "النفول" الذي يضع فيه الطالب الورد، الرّند، الخبة السوداء، ماء الزّهر، وزيت الزيتون، ويضع في هذا الخليط ورقة مكتوبة عليها آيات من القرآن

الكريم، مكتوبة بالصمغ، وتدهن به الأم ابنها في وجهه ويديه ورجليه لمدة ثلاثة أيام أو سبعة أيام وذلك يساعده في اعتقادها على النوم ليلاً وتحميه من القوى الغيبية.

✓ اليد (الخامسة أو تعياشت)

وهي يد صغيرة مصنوعة من الفضة تعلقها الأم على عنق الطفل الصغير أو تعها على الوسادة لدفع العين الشريرة على الطفل واشتق اسم تعياش من كلمة "أعينوش" باللهجة الشاوية أي العين.

✓ التيمية (ثريث)

وهي ورقة تعلق على رقبة الطفل "إيري نوهيوي" وهي نوعان من التمام:

- النوع الأول: يكتب الإمام (الطالب) على ورقة مكتوبة بالصمغ آيات من القرآن الكريم وتقوم الأم بثقبها وإدخال خيط عليها وضعها كقلادة للطفل لتحميه من العين والمس.

- النوع الثاني: تلجأ النساء في الماضي إلى ما يسمى عندهم الدراوش "أمرابط" لجهن ولحدودية علمهن للاستشفاء من الأمراض الروحية أو الحماية منها، حيث يكتب الدرويش «مرايط» على ورقة آيات من القرآن الكريم فيها أسماء شياطين وتعطى للأم فتعلقها على رقبة الطفل المريض كتيمية وهي في ديننا فعل محرم.

3. ختان الطفل وطقوسه في منطقة أولاد عمر بن مهدي- القصبات-

1.3 الختان كطقس اجتماعي (طقس العبور)

يرى "فان جانب" أن أكبر الطقوس تتكون من طقوس بسيطة وتأتي على شكل دورات متعاقبة حيث يقول " أن حياة الأفراد في مرحلة معينة تكون متسلسلة ضرورية وهي ما نسميها طقوس المرور، ففختان الذكور يرمز إلى تغير اجتماعي من اجتماعية إلى أخرى مما يؤهله إلى أن يدخل عالم الرجال بعدما كان يعيش عالم الاناث لذلك يرمز للختان بالرجولة. (أحمد، 2014)

وهذا الرأي لجنب يتضح لنا جليا في بعض الأهازيج التي تردد أثناء عملية الختان كقولهن :

عام السنأ طهارة والعام الجاي زواج مرتك يا وليدي تاكل لحم الجاج

ومما استنبطناه من هاته الأهازيج أن الختان هنا لكي ينتقل إلى المرحلة القادمة وهي الزواج يجب عليه أن يختن ولا يخفى علينا أنه رمز للتميز والبلوغ والانتقال من سن الطفولة إلى سن الرشد فيما يبين مقطع آخر أنه رمز للرجولة وتميز الطفل الذكر وانتقاله من عالم الاناث إلى عالم الرجولة كقولهن:

طاهريا لمطاهر نعطيك ربال لا تجرح وليدي سيد الرجال

وقد وصف "جونب" هذا الانتقال في طقوس المرور إلى ثلاث مراحل:

✓ مرحلة التفرقة: بعد الختان يدخل الطفل في مرحلة يجعله يفترق ويبتعد عن أفراد جماعته.

✓ مرحلة التهميش: هذه المرحلة متغيرة الوقت، الطفل فيها يكون مهمشا عن الآخرين لأنه

يعايش الانتظار بأن يقبله المجتمع ويدمجه بحيث يكزن بمعزل عن الحضور.

✓ مرحلة القبول: هي مرحلة الاعتراف بالطفل كفرد مؤهل قابل لأن يخوض الحياة بمجرباتها.
(براهيم أحمد 320)

وقد وضّحت الباحثة "تبقه أمينة" في مقال لها عن الحيض والختان طقوس العبور أن الختان لا يدل على بلوغ الطفل عكس الأنثى التي تبلغ بأول قطرة دم من حيضها فهو نظام للجسد هدفه جعل الفرد يتقمص المبادئ المثالية للجماعة التي ينتهي إليها على نحو معين وهو الاعتراف بذكورة الولد كما هو موجود في الثقافة الشعبية الجزائرية " طاهروابرا خصتو غير لمرا" وهذا ما يؤكد أن طقوس العبور بالنسبة للرجل وافي المرحلة الاجتماعية هي الختان والزواج، وأن لهذا الختان نمطين من التفسير:

- دلالاته الرمزية وما يعبر عنه الختان من معاني
- الاعلان عن ختان الذكر هو فصل تلقائي عن الأم وعالم النساء. (أمينة، 2017)

2.3 الختان كطقس ديني

يعتبر الختان من الممارسات الدينية التي يجب على المسلم التقيد بها وهي مقدّسة فالمسلم عند بلوغه سن معين في صغره يقوم بالختان، فالختان من السنّة لما جاء في صحيح مسلم لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: " الفطرة خمس – أو خمس من الفطرة، الختان والاستحداد وتقليم الأظافر ونتف الأبط، وقص الشارب"، وقد ذهب الشافعية والحنابلة الى القول أن القطعة التي تقطع في الختان تحبس النجاسة فيجب قطعها لتحقيق الطهارة ووجوب الصلاة. (أحمد م، 1950)

3.3 أهم الطقوس أثناء عملية الختان

✓ طقس الرمانة

يعتبر طقس الرمانة من الطقوس المعتادة عليها في وقتهم قبل كل عملية ختن، يقوم المختّن بفلق الرمانة على جبين الطفل وذلك له دلالات وعدّة تأويلات:

- أن هذه الممارسة هو تفاؤل بالكثرة والنماء الذي سيحصل للطفل مستقبلا.
- أن هذه الممارسة وألم الرمانة أثناء ضربه بها على جبينه هو تحضير أو تهيئة للطفل لعملية الختن أو تهيئة لألم أكبر من ألم الرمانة وهو ألم الختان.
- فلق الرمانة وسيلة لمعرفة مدى خوف الطفل من الختان.

✓ طقس المرأة والماء والسكين

أثناء تأدية طقس الرمانة داخل حجرة الختان يأتي الدور على أم الطفل خارج حجرة الختان بطقس آخر بحيث تقوم المرأة بإحضار قصعة أو دلو من الماء وتقوم بوضع رجلها فيه وتقوم بمسك آلة حادة كالسكين، وغيره بأسنانها حتى ينتهي إنبها من الختان وفي النهاية تقوم الأم برمي الماء على الحاضرين وحجرة الختان وكل هذا له دلالات حسب ما صرحت به المبحوثات :

- وهذه الطقوس اندثرت مع مرور الوقت وبقي منها فقط التحضيرات الخاصة بالختان وم حفل النساء الخاص بدفن الجزء المقطوع وأهم طقوسه كذلك .

أثناء عملية الختان تردّد الحاضرات أهازيج خاصة جمعت منها هذه المقاطعات أثناء رحلة البحث كانت أحد المبحوثات تردّد فيها بلحجها وأنها تريد من ذلك عودة ماضيم الجميل:

طاهريا لمطاهر طاهر صَحّا لأيديك	لا تجرح وليدي لا نغضب عليك
طاهريا لمطاهر طاهر فالقصعة	لا تجرح وليدي هناك ما نَسعى
طاهريا لمطاهر طاهر في حجري	حرارة الموس والدَمعة تجري
طاهريا لمطاهر نعطيك الريال	لا تجرح وليدي سيد الرجال
طاهريا لمطاهر نعطيك دورو	لا تجرح وليدي حاكم فالبيرو
طاهريا لمطاهريا بوشاشية	لا تجرح وليدي لعزيز عليا
طاهريا لمطاهريا بوخييط حمر	لا تجرح وليدي عرجون التمر



يا مَيِّمَةَ لمَظَاهِرِ قَاعِدَةِ فَالْسَرِيرِ	لِخَيْلِ تَلْعَبُ وَالنَّبِيِّ قِدَامَهَا
مَيِّمَةَ لمَظَاهِرِ قَاعِدَةِ فَالْدُرُجِ	تَنْجِي فِلْمَوَاسِخٍ أَوْ تَلْبَسُ فَالْحَرِيرِ
	تَنْجِي فِلْمَوَاسِخٍ أَوْ تَلْبَسُ فَالْمَحْرُوجِ



عام السَّنا طهارة والعام الجاي زواج مرتك يا وليدي تاكل لحم الجاج
ميروك الطهارة والحنة في أيديه الشاشية حمرا والكوستيم مواتيه

6.3 المشاركة في حفل الختان الخاص بالنساء

حسب ما ورد على لسان المبحوثات عند الانتهاء من عملية الختان يأتي الدور على الأم بإعطاء الجزء المقطوع للمرأة الأكثر سنا والمعتادة على دفن الجزء المقطوع في مثل هكذا مناسبات التي بدورها تقوم بوضع الجزء المقطوع في قطعة قماش خضراء التي ترمز الحياة السعيدة التي سيتمتع بها الطفل مستقبلا مع بعض الحلويات التي ترمز للفأل الحسن والحياة الحلوة كما تضع في بعض الفرق المنتمية

للعرش كآيت نصر و وآيت محبوب مكان الحلوى يضعون القمح تفاءلا واعتقادا بأنه سيحظى بالخير مستقبلا (الفأل).

تذهب العجوز حاملة فوق رأسها قصعة كبيرة من الحطب (ziwan uyeccut) مع وضع داخلها الفضة "أرضيف" وآلة الحفر القدوم أو "تقبوشت" مع الحلوى وتذهب مع أم الطفل و جمع من النساء القريبات لها في محفل المسعى بلهجتنا الشاوية "ayerwaw"، يذهبن الى مكان الدفن المعتاد عليه دائما وحسب التقليد وهو الحدود الترابية الموجودة بين الأقارب " أمير" وهذا بزعمهم يجعل الطفل لا يتجاوز حدوده مع أقاربه وجيرانه ، وعند دفنها تقوم المرأة بحفر حفرتين الأولى توضع فيها الحلويات أو القمح والحفرة الثانية يوضع فيه الجزء المقطوع " أجويط" وذلك للتمويه على الجن في اعتقادهم. وعند العودة من مكان الدفن تضع الأم القصعة والقدوم الذي تم الحفر به والشاح الأخضر الذي وضع في الجزء المقطوع في مكان بعيد عن الأنظار تحت الخزانة أو ما يسمى "ثيقيدا" (tigida) لمدة سبعة أيام.

7.3 المشاركة في محفل الخاص بالرجال (الأهازيج) أثناء التسابق

عند عودة النساء من محفلهن الخاص بدفن الجزء المقطوع يأتي دورهن في مشاركة الرجال في تسابقهم فوق الخيول وتجتمع النساء أمام المنزل كي يستمتعن بالفرجة التي يصنعها الرجال وضرب البارود وهنّ يرددن أهازيج خاصة للتعبير على براعة الفرسان في ذلك، و شحنهم بأهازيج خاصة بهم لخلق جو من الاحتفال والتنافس فيختارون مكان للسباق أمام المنزل الذي تتواجد فيه هذه المناسبة فجمعناها في هذه الأبيات :

يا راغي النجوم على لزررق دونات	يا لجعل لكم فالصراع عثي الغيم ابان
زقوشي* شان الجوهر أولبريام سود	هذاك فلان محمد زاد عندو للمسعود
يالعاقب على طريق البير	صباط لكحل في رجليوتاه التقشير
الزرقا اللي جات شايشا من بلاد العرعار	راكها خويا لمدلل أو يعدل فالمشورا
الزرقا اللي جات شايشا واجلالها مرقوم	راكها خويا لمدلل فيشهو القوم (الفرسان)
الزرقا اللي جات من بلاد الحمام	راكها خويا لمدلل والبارود غمام
الزرقا اللي جات من بلاد الكروش	راكها خويا لمدلل يضرب بالكرتوش

8.3 علاج المختون

بعد الختان تقوم الأم بإحضار بعض الأعشاب المستعملة في علاج ابنها للشفاء من جروح الختان فمنهن من أخبرنا بأنها تقوم بجمع الأعشاب المعروفة بنموه في المنطقة فتقوم بقلعها وتجفيفها في فيناء البيت ثم تقوم بطحنها ولا بأس أن نذكر منها عشبة " ثمروث" و"الجيعدة" و "الحرملة" و "زنبابا"، عند الانتهاء من الطحن تضاف إليها زيت الزيتون وتوضع على جرح المختون كما أنها هناك عشبة

خاصة لذلك والتي تقوم بشد الجرح وإعادة نمائه والتي توضح على الجرح مباشرة بعد غلها في الماء والتي تسمى "خيطة لجراح".

4. وظيفة الممارسات الطقسية:

اقترح J. cazeneuve تصنيفا مبني على اشكالية تتمثل هذه الإشكالية في تساؤل الدافع الكامن وراء اللجوء إلى الممارسات الطقسية بمعنى مبسط ثلاث حاجات تشبعها السلوكات الطقوسية وهي كالآتي:

1. الطمئينة والشعور بالإرتياح

إذ أن القيام بالشعائر الطقوسية من شأنه طمأنة الإنسان والتخفيف من القلق عن قوى (فوق –إنسانية) والتي يسميها أوتو R Otto بتجلي الألوهة أو الإحساس النيوميني Le numineux هذا العنصر كامن وموجود في كل التجارب الدينية.

2. التواصل مع القوى الغيبية

يحاول الإنسان من خلال إحيائه للممارسات الطقوسية بخلق إتصال مع عالم الغيب وقواه التي تتحكم في بعض مظاهره الكونية .

3. التواصل مع وجود سامي لتطهير الروح

يعتمد الإنسان على الممارسات الطقوسية كشعائر دينية يقصد بها التواصل مع وجود روعي سامي بهدف تحقيق طهارة روحية من خلال التعبد الديني من صلاة أو كتقديم القران، هذه الشعائر يراها "مارسال موس " طقوس ايجابية. (سامية، 2022)

خاتمة:

احتفال كما وصل إلى تحديد ماهيته، هو نوع أو وسيلة لبناء الذاكرة الجماعية وهو ما توصل إليه المختصون أن الذاكرة أسبق من التاريخ فمتذكرته الذاكرة يدون وما نسيته يتناساه التاريخ لذلك فالاحتفال عملية إعادة بناء كينونة مجتمعية للجماعات وإعادة تكوين *الذاتية* من خلال الممارسات التي يتفق على وجودها الجماعة وفق المكان والزمان والذي بدوره يجمدها في نسق واحد ووظيفة خاضعة للحراك الاجتماعي والتطور الصناعي والتكنولوجي أكثر منها خاضعة للذوبان في أفكار ثقافية واحدة.

تلعب المرأة دورا محوريا في مجتمع الدراسة من خلال اسهاماتها التي ورثتها عن أسلافها في احياء مناسباتي الختان والولادة بجملة من الممارسات سواءا متعلقة بالمرأة أثناء فترة الحمل من خلال الأطعمة المقدمة لها، وطريقة التكهن بالجنين وصولا الى المخاض ووضع المولود والطرق التقليدية المستعملة في التوليد، والوسائل والعلاجات المتعلقة بالعناية بالمولود الجسدية في حالات الإصابة بنزلات البرد والحساسية الجلدية اضافة الى العلاجات الروحية من العين والقوى الغيبية كالمس والجن

باستعمال أدوات وأدوية روحية تضمن سلامتهم كاستعمال جذر نبات الفيجل المسعى باللهجة الشاوية (أورمي) إضافة الى التمايم بأنواعها التي تعلق في رقبة الطفل، واليد المصنوعة من الفضة والتي تسمى كذلك (ثعباشت). وصولاً الى مناسبة الختان ودور المرأة فيه من خلال المشاركة في محفل الختان الخاص بالنساء، والدور الفني لها عن طريق الأهازيج التي تردّد في هذه المناسبة وصولاً الى كيفية علاج المختون.

وكذلك من بين النتائج فك مجازات بعض الطقوس الخاصة بهاتين المناسبتين، كون الطقوس تساعد الإنسان على إعادة ضبط توازن جانبه الشعوري في الأزمات التي يمكن أن يمر بها، من مشكل يومي يفوق طاقته وطاقه المعالجين تجعله يلجأ الى الرمز ودلالاته، ولضمان توازنه النفسي، والتماس الحلول التي يقدمها المنطق، فرغم التطور الحاصل ومواكبة العصرنة لاحظنا من خلال المقابلات الميدانية أن الطقوس لها تأثير إيجابي سواء على المرأة أو المولود بعد الولادة أو في مناسبة الختان، لذلك نسعى كباحثين الى المساهمة في إعادة البحث والتنقيب عليها حفاظاً على هذا الموروث الذي هو بمثابة قوة وثقافة مكونة للفرد الأوراسي ومن التراث اللامادي الذي يشكل إرث حضاري.

فالحفاظ على هذا الموروث يحتاج إلى اتخاذ جملة من الإجراءات ومنها ضرورة تكثيف عمليات البحث خصوصاً المقالات العلمية نتيجة التطور الحاصل للتعريف بهذه الممارسات، بالإضافة إلى الملتقيات العلمية الوطنية والدولية، والإعتماد كذلك على الإعلام والمسرح لإحياء هذه الممارسات والتعريف بها للجمهور.

4. الأشكال والجداول

الشكل: رقم 01

✓ نموذج من المقابلات الميدانية						
اسم	العرض	السن	الإقامة	موضوع المقابلة	المهنة	تاريخ المقابلة
بنة ب	أولاد عمر بن مهدي	77	القصبات - الزرقاء	طقوس المرأة المصاحبة للختان	هاكتة في البيت	2025/03/03
بنة م	أولاد عمر بن مهدي	76	القصبات - الجرد	محفل النساء بعد الختان لدفن الجزء المقطوع	هاكتة في البيت	2025/03/03
الخيرم	أولاد عمر بن مهدي	81	القصبات - شحاتة	طرق علاج الطفل المختون	هاكتة في البيت	2025/03/07
هربية	أولاد عمر بن مهدي	75	القصبات - ممتدة الطارف	مكان الختان ؟ المسؤول عن ختان ؟ لأطفال	هاكتة في البيت	2024/03/10
أمية ب	أولاد عمر بن مهدي	82	القصبات - شوعب	الأهازيج الخاصة أثناء عملية الختان	ربة بيت	2025/03/13
بنة ب	أولاد عمر بن مهدي	75	القصبات - الجرد	أهم الطرق لمعرفة جنس الطفل	ربة بيت	2025/03/05
بنة ج	أولاد عمر بن مهدي	75	القصبات - ممتدة الطارف	المرأة وممارسات وطقوس الولادة	هاكتة في البيت	2025/03/04
ورقة ه	أولاد عمر بن مهدي	76	القصبات - الجرد	العناية الروحية للطفل موجودات مادية بقوة خيمية	هاكتة في البيت	2025/03/05

المصدر: تصميم الباحث، نموذج المقابلات الميدانية

قائمة المصادر والمراجع

- براهيم أحمد. (2014). *الموروث الشعبي والهوية الوطنية*. جامعة مستغانم ، الجزائر: مخبر حوار الحضارات والتنوع الثقافي وفلسفة السلم.
- تبقة أمينة. (15 03, 2017). *الحبض والختان طقوس العبور*. مجلة *الحوار الثقافي* ، 06(01)، 102-108.
- أحمد، م. (1950). *سنن أبي داود*. مصر: مطبعة السعادة.
- سامية، ا. (15 01, 2022). قراءة أنثروبولوجية في بعض طقوس الولادة بمنطقة تلمسان(الجزائر). مجلة *أنثروبولوجية الأديان*. 18(01)، 365-374.
- الهلي، م. (30 06, 2012). *المعتقدات الشعبية حول الزواج، الحمل، الولادة بمنطقة القصر العتيق بورقلة*. مجلة *العلوم الإنسانية والاجتماعية*. 04(08)، 335-345.
- نوار، ع. (19 10, 2017). *المعتقدات الشعبية في الأسرة الجزائرية من طقوس الولادة حتى نمو الطفل*. مجلة *تاريخ العلوم*. 04(09)، 135-141.
- camoy, A. E. (1834-1904). *contribution au fukl-lore des arabes l'algerie tradutionalle ,les grndes, conte, musique, moures, coutumes, fêtes, croyences..ect* (éd. maisonneuve leclero). france.
- chlellier, D. (1895). *vouage dans l'auras chez les femmes arabes*. note d'un médecin, ancien aide danalonie a ecole d'alger, tizi ouazo.
- Carnoy, A. e. (1893). *contribution au folk-lore des arabe l'algerie traditionnelle legedes, contes, chonsones, moeures, cotumes, fêtes, ceroyences, ..ect.*. paris france: meseneuve et laclerc.